قصص
الحيوان
في القرآن

الحُوتُ الفَرِيدُ

إعداد
الطاهرة عماري أحمد

رسوم
خالد عبد العزيز

زهرة البستان
لثقافة الطفل

زهرة البستان

مدينة الشيخ زايد - الحي ١٦-المجاورة ٤ - عمارة ٦٤ - الجيزة - مصر

تليفون : ٠١١٤٤٤٥٥٢٠٠ (٢٠٢+) - فاكس : ٣٧٦٠٨٦٥٠ (٢٠٢+)

E.mail: Zahrtelbostan@outlook.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٢٨١٩ / ٢٠١٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978-977 - 6506 - 39 - 8

أَنَا الَّذِي سُمِّى صَاحِبِى بِاسْمِي .. ذَا النُّونِ .. أَنَا النُّونُ .. أَنَا حُوتُ البَحْرِ ، مِنْ أَكْبَرِ الحَيَوَانَاتِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ .. لَكِنّي لَسْتُ حُوتًا عَادِيًا .. أَنَا الحُوتُ الفَرِيدُ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لِيُؤَدِّيَ رِسَالَةً عَظِيمَةً .. وَيَبْتَلِعَ نَبِيَّ اللهِ «يُونُسَ» عليه السلام ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أُحَافِظَ عَلَيهِ دُونَ أَنْ أَكْسِرَ عِظَامَهُ أَوْ آكُلَ لَحْمَهُ !! .. بَلْ أَبْقَيتُهُ فِي جَوفِي دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ !

وَلَكِنْ لِمَاذَا ابْتَلَعْتُ «يُونُسَ» عليه السلام فِي جَوفِي ؟ وَلِمَاذَا احْتَفَظْتُ بِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتُهُ وَأَلْقَيتُهُ عَلَى شَاطِئِ البَحْرِ ؟

هَكَذَا كَانَ يَحْكِي أَحَدُ الحِيتَانِ هَذِهِ القِصَّةَ العَجِيبَةَ الَّتِي حَدَثَتْ لأَحَدِ أَجْدَادِهِ ، وتَوَارَثَتْ حَكْيَهَا الحِيتَانُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ .

الْتَفَتَتِ الحِيتَانُ الصِّغَارُ حَوْلَ الجَدِّ يَنْتَظِرُونَ فِي لَهْفَةٍ وَشَوقٍ لِسَمَاعِ الحِكَايَةِ العَجِيبَةِ .. ابْتَسَمَ الحُوتُ الكَبِيرُ وَهُوَ يَلْحَظُ نَظَرَاتِ الفُضُولِ مِنْ أَحْفَادِهِ الحِيتَانِ الصَّغِيرَةِ .. وَبَدَأَ يَحْكِي الحِكَايَةَ ..

مَدِينَةُ نِينَوَى

حَكَى جَدِّي قَائِلاً : بَدَأَتْ قِصَّتِي ذَاتَ يَوم فِي قَدِيمِ الزَّمَان .. كَانَتْ هُنَاكَ مَدِينَةٌ اسْمُها نِينَوَى فِي أَرْضِ المَوْصِلِ بِبِلادِ العِرَاقِ مِنْ أَغْنَى وَأَعظَمِ المُدُنِ .. كَانَ يَسْكُنُ القَرْيَةَ مَا يَزِيدُ عَلَى المِائَةِ أَلْفِ نَسَمَةٍ .. كَانَ أَهْلُ نِينَوَى لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ .. يَعْبُدونَ الأَصْنَامَ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيهَا بِالذَّبَائِحِ وَالذَّهَبِ .

أَرَادَ اللهُ - تَعَالَى - أَنْ يَرْحَمَهُم فَأَرْسَلَ إِلَيهِمْ «يُونُسَ بنَ مَتَّى» عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًا كَرِيمًا فَأَخَذَ يَدْعُوهُم لِلإِيمَانِ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ ، وَعِبَادَتِهِ وَحدَهُ دُونَ سِوَاهُ ، وَرَاحَ يَعِظُهُم ، وَيَنْصَحُهُم وَيَأْمُرُهُم أَنْ يَعُودُوا إِلَى اللهِ وَيَتوقَّفُوا عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، وَيُرْشِدُهُم إِلَى الخَيرِ ، وَيُذَكِّرُهُم بِيومِ القِيَامَةِ ، وَيُخَوِّفُهُم

مِـنَ النَّارِ، وَيُحَبِّبُهُم إِلَى الجَنَّـةِ، وَيَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ، وَظَلَّ «يُونُسُ» عليه السلام يَنْصَحُ قَوْمَـهُ فَلَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَأَتْعَبُوهُ كَثِيرًا، وَظَلُّوا عَلَى كُفْرِهِم بِاللهِ وَعَدَمِ عِبَادَتِهِ .وَتَمُرُّ الأَيَّامُ وَالسَّنَوَاتُ وَيَطُولُ الزَّمَنُ بِـ«يُونُسَ» عليه السلام .. وَلاَ يُؤْمِنُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ.

قَرارُ الهِجْرَةِ

وَيَسْـأَلُ أَحَدُ الحِيتَانِ الصِّغَارِ فِي فُضُولٍ : وَمَاذَا فَعَلَ نَبِيُّ اللهِ «يُونُسُ» عليه السلام عِنْدَمَـا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ قَوْمُهُ ؟ رَدَّ الحُـوتُ الكَبِيرُ قَائِلاً : ظَلَّ نَبِيُّ اللهِ «يُونُسُ» عليه السلام يَدْعُو قَوْمَهُ زَمَنًا طَوِيلاً دُونَ اسْتِجَابَةٍ .. وَذَاتَ يَوْمٍ غَضِبَ «يُونُسُ» عليه السلام مِنْ قَوْمِهِ وَضَـاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، فَقَـرَّرَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ دَعْوَتِهِم وَأَنْ يَتْرُكَ لَهُمْ بَلْدَتَهُم وَيُهَاجِرَ إِلَى بَلْـدَةٍ أُخْرَى لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِ قَوْمًـا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ تَعَالَى وَيَعْبُدُونَهُ، وَتَوَعَّدَهُم بِعَذَابٍ شَدِيدٍ يَحِلُّ عَلَيهِم بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ.

هَكَـذَا وَبِدُونِ إِذْنٍ مِـنَ اللهِ – تَعَالَى – فَلَمْ يَكُـنِ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ قَدْ صَدَرَ لَهُ بِأَنْ يَتْرُكَ قَوْمَهُ أَو يَيأْسَ مِنْهُمْ، خَرَجَ «يُونُسُ» مِنْ قَرْيَتِهِ تَارِكًا أَهْلَهَـا يَعِيشُـونَ فِي ظُلُمَاتِ الجَهْـلِ وَالكُفْرِ والضَّـلالِ.. وَحَدَثَتْ لَهُ حَادِثَةٌ مُثِيرةٌ !

قَاطَعَ الحُوتَ الكَبِيرَ أَحَدُ الحِيتَانِ الصَّغِيرَةِ وَهُوَ يَسْأَلُ فِى لَهْفَةٍ : وَمَا هِي تِلْكَ الحَادِثَةُ يَاجَدَّنَا ؟

اسْتَأْنَفَ الحُوتُ الكَبِيرُ الحَدِيثَ مُبْتَسِمًا وَهُوَ يَقُولُ : لَا تَقْلَقْ يَا صَغِيرِي، سَأُكْمِلُ لَكُمُ الحِكَايَةَ حَتَّى تَعْرِفُوا مَاذَا حَدَثَ لِلنَّبِيِّ الكَرِيمِ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الرِّحْلَةُ المُثِيرَةُ

خَـرَجَ نَبِـيُّ اللهِ «يُونُـسُ» عليه السلام مِنْ قَرْيَتِـهِ غَاضِبًا، وَسَـارَ عَبْرَ الجِبَالِ وَالأَوْدِيَـةِ إِلَـى أَنْ وَصَلَ إِلَى شَـاطِئِ بَحْرٍ كَبِيـرٍ، تَوَجَّهَ «يُونُـسُ» إِلَى مِينَاءِ البَلْـدَةِ، وَفِي المِينَاءِ وَجَدَ «يُونُسُ» عليه السلام مَرْكَبًـا صَغِيرًا فِيهِ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَانَ عَلَى وَشْكِ الإِبْحَارِ مُسَافِرًا إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ، لَمْ يَكُنْ يُهِمُّهُ إِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُ المَرْكَبُ، وَلاَ مَا هِيَ البَلْدَةُ الَّتِي سَيَذْهَبُ إِلَيْهَا .. كُلُّ مَاكَانَ يُهِمُّهُ أَنْ يَخْـرُجَ مِنْ بَلْدَتِهِ الكَافِرَةِ بِاللهِ، فَتَقَدَّمَ مِنْهَـا وَطَلَبَ مِنْ صَاحِبِ المَرْكَبِ أَنْ يَأْخُذَهُ مَعَهُمْ، فَوَافَقَ .

وَانْطَلَقَ المَرْكَبُ بِرُكَّابِهِ إِلَى البَحْرِ يَشُقُّ طَرِيقَهُ مُبْتَعِدًا عَنْ نِينَوَى، وَجَاءَ اللَّيلُ عَلَى السَّـفِينَةِ .. وَهَطَلَتِ الأَمْطَارُ بِغَزَارَةٍ فَانْقَلَبَ البَحْرُ فَجأَةً وَامْتَلأَتِ السَّـفِينَةُ بِالْمَاءِ، فَزَادَتْ حُمُولَةُ السَّـفِينَةِ وَكَادَتْ تَنْقَلِبُ مِـنْ ثِقَلِهَا .. لَكِنَّهَا لَمْ تَغْرَقْ لأَنَّ اللـهَ أَرَادَ أَلاَّ تَغْرَقَ ..

أَلْقَى المُسَافِرُونَ بِأَمْتِعَتِهِم حَتَّى يُخَفِّفُوا حُمُولَةَ المَرْكَبِ الثَّقِيلَةَ، لَكِنَّ المَرْكَبَ ظَلَّ ثَقِيلاً يُهَدِّدُهُ خَطَرُ الغَرَقِ. فَاقْتَرَحَ الرُّبَّانُ أَنْ يُضَحِّيَ أَحَدُ الرُّكَّابِ بِحَيَاتِهِ بِأَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ فِي البَحْرِ مِنْ عَلَى ظَهْرِ المَرْكَبِ لِتَخِفَّ حُمُولَتُهُ .. وَأَجْرُوا قُرْعَةً. بَلْ أَجْـرُوا القُرْعَةَ أَكْثَـرَ مِنْ مَرَّةٍ،

وَلِشِـدَّةِ دَهْشَـةِ الرُّكَّابِ .. أَرَادَ اللـهُ بِحِكْمَتِهِ وتَدبِيرِهُ أن تَقَـعَ القُرْعَةُ ثَلاثًا عَلَى الرَّجُـلِ الصَّالِـحِ «يُونُسَ» عليه السلام ، لَمْ يُجَادِلْ «يُونُسُ» عليه السلام وَلَمْ يَتَلَكَّأْ .. فَأَلْقَى نَفْسَـهُ فِي البَحْرِ رَاضِيًا بِقَدَرِهِ صَابِرًا لِيُوَاجِهَ مَصِيرَهُ المَجْهُولَ ، بَيْنَمَا سَـارَ المَرْكَبُ سَالِـمًا .

سَجِينٌ فِي جَوْفِ الحُوتِ

يَقُـولُ جَدِّي : وَهُنَا جَـاءَ دَوْرِي الَّذِي اخْتَارَنِي اللـهُ - تَعَالَى - لأَدَائِهِ ، وَأَوْحَى اللـهُ - تَعَالَى - إِلَيَّ أَنْ أَشُـقَّ البَحْرَ وَأَتَحَرَّكَ إِلَى السَّـطْحِ فَأَبْتَلِـعَ نَبِيَّ اللهِ «يُونُسَ» عليه السلام .

وَفِـي الحَالِ أَطَعْـتُ الأَمْرَ ، وَفِي سُـرْعَةٍ بَالِغَةٍ فَتَحْتُ فَمِي عَنْ آخِـرِهِ وَاقْتَرَبْتُ بِرِفْقٍ مِنْ «يُونُسَ» فَابْتَلَعْتُهُ فِي جَوفِي وَأَطْبَقْتُ فَمِي عَلَيه لَكِنِّي لَمْ آكُلْهُ .. بَلْ بَقِي حَيًـا فِي بَطْنِي وَأَنا أَشُـقُّ الأَمْـوَاجَ وَأَغُوصُ نَحْوَ الأَعْمَاقِ السَّـحِيقَةِ المُظْلِمَةِ ، وَطُفْتُ بِهِ البِحَارَ .

وَجَـدَ «يُونُسُ» نَفْسَـهُ سَـجِينًا فِي جَوْفِـي وَأَنَا أَجْرِي بِهِ فِي جَـوْفِ البَحْرِ وَهُـوَ مُحَاطٌ بِظُلُمَاتٍ ثَـلاثٍ مِنْ حَوْلِهِ : ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ . وَظُلْمَـةِ أَعْمَـاقِ البَحْرِ ، وَظُلْمَةِ جَوفِي .

اسْـتَقَرَّ «يُونُسُ» فِي بَطْنِي، وَهُوَ يَحْسَـبُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .. حَرَّكَ جِسْـمَهُ فَوَجَدَ نَفْسَـهُ يَتَحرَّكُ.. كَانَ حَيًا لَكِنَّهُ كَانَ سَجِينًا ..

هُنَـا أَدْرَكَ نَبِيُّ اللهِ «يُونُـسُ» أَنَّهُ أَخْطَأَ حِينَ غَـادَرَ بَلْدَتَهُ وَتَرَكَ قَوْمَهُ دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ الأَمْرَ الإِلَهِيَّ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَبْلِيغِهِم رِسَالَةَ رَبِّ العَالَمِينَ وَتَرَكَهُم فِى ظُلُمَاتِ الضَّلالِ .

قَاطَعَ الحُوتَ الكَبِيرَ أَحَدُ الحِيتَانِ الصَّغِيرَةِ وَهُوَ يَسْـأَلُ : وَمَاذَا فَعَلَ نَبِيُّ اللهِ «يُونُسُ» فِي بَطْنِ الحُوتِ يَاجَدِّي ؟

أَجَـابَ الحُوتُ : حَكَى جَـدِّي قَائِلاً : بَدَأَ «يُونُـسُ» يَبْكِي نَدَمًا وَيَذْكُرُ رَبَّه وَيُسَبِّحُه فِي الظُّلُمَاتِ :

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

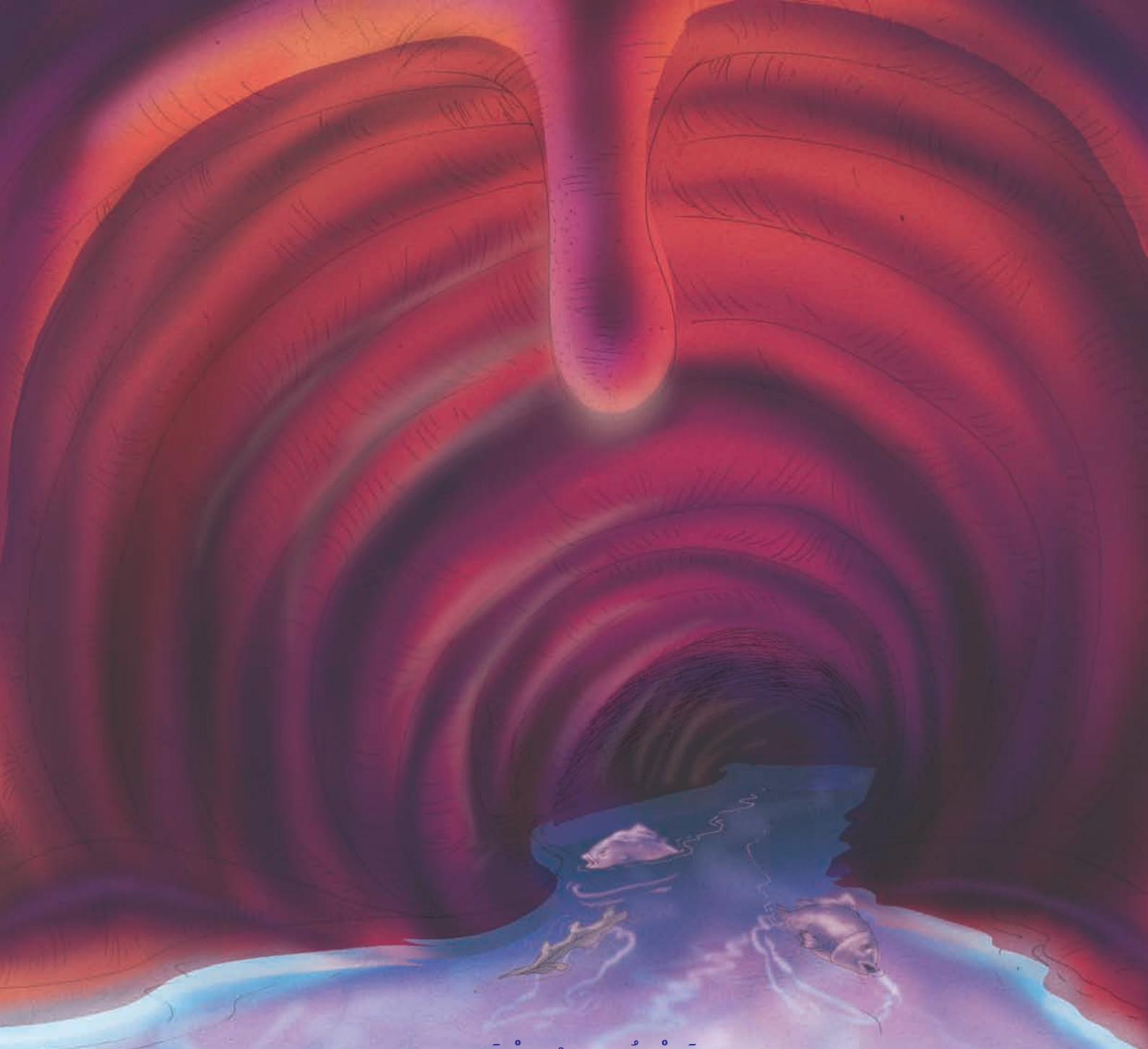

فَضْلُ الاسْتِغْفَارِ

وَهَكَـذَا ظَلَّ «يُونُسُ» يُكَرِّرُ تَسْـبِيحَهُ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِـي جَوْفِي مُعْتَرِفًا للهِ تَعَالَى بِخَطَئِهِ لَا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ ..

كُنْتُ أَسْـمَعُ صَوْتَهُ يَعْلُو بِالتَّسْـبِيحِ .. وَبَدَأْتُ أُسـبِّحُ اللـهَ مَعَهُ .. كُنْتُ أَشْـعُرُ بِالرَّهْبَهِ وَالخَوفِ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّنِي قَـدِ ابْتَلَعْتُ نَبِيـاً كَرِيمًا .. لَكِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَمَرَنِي بِهَذَا ..

وَسَمِعَ اللـهُ تَسْبيحَهُ فِي الظُّلُمَاتِ . . وَظَلَّ نَبِيُّ اللهِ «يُونُسُ» فِي جَوْفِي مَـا شَـاءَ اللـهُ أنْ يَظَلَّ حَتَّـى رَأى اللـهُ صِدْقَهُ فِي التَّوْبَةِ فاسْـتَجَابَ لِصَلاةِ النَّبِيِّ التَّائِبِ السَّجِينِ . . وَنَجَّاهُ مِنْ بَطْنِي . .

وصَـدَرَ أمْرُ اللهِ إِلَيَّ بَـأَنْ أُخْرِجَ «يُونُسَ» مِنْ جَوْفِـي وَأُلْقِيَهُ بِرِفْقٍ عَلَى جَزِيـرَةٍ . . أَطَعْـتُ أمْرَ رَبِّي فَـوْرًا وَاتَّجَهْتُ إِلَى الشَّـاطِئِ وَلَفَظْتُ «يُونُسَ» عَلَيهِ . .

خَرَجَ «يُونُسُ» مِنْ جَسَـدِي مَرِيضًا ضَعِيفًا ، وَجَسَـدُهُ مَلِـيءٌ بِالجُرُوحِ وَالقَرْحِ مِنْ أَثَـرِ عُصَارَتِي الهَاضِمَةِ الَّتِي كَانَ جَوفِي يُفْرِزُهَا . فَأَنْبَتَ اللـهُ لَهُ شَـجَرَةَ يَقْطِين ، وَهِي شَجَرَةُ القَرْعِ . . أَخَذَ يَسْـتَظِلُّ بِأَوْرَاقِهَا العَرِيضَةِ مِـنْ حَرِّ الشَّـمْسِ ، وَأَخَذَ يَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا الحُلْوَةِ المُغَذِّيَةِ حَتَّى شَـفَاهُ اللـهُ تَعَالَى وَاسْتَرَدَّ عَافِيَتَهُ فَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ جَمِيعًا .

وَأَوْحَـى اللـهُ إِلَيهِ أَنَّهُ لَولا صَلاتُهُ وَتَسْـبِيحُهُ لَظَلَّ فِـي بَطْنِي إِلَى يَومِ القِيَامَةِ .

قَومُ «يُونُسَ» يُؤْمِنُونَ بِهِ

وَسَـأَلَ الحُـوتُ الصَّغِيرُ فِى دَهْشَـةٍ : وَكَيفَ آمَنَ بِهِ قَوْمُـهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُم فِي عِنَادِهِم وَكُفْرِهِم ؟!

رَدَّ الحُوتُ الكَبِيرُ مُبْتَسِمًا : حِينَ خَرَجَ «يُونُسُ» عليه السلام مِنْ قَرْيَتِه، بَعْدَ أَيَّامٍ تَلَبَّدَتِ السَّمَاءُ بِغُيُومٍ سَوْدَاءَ فَوْقَ قَرْيَةِ نِينَوَى، وَهَبَّتْ عَاصِفَةٌ قَوِيَّةٌ مُزَمْجِرَةٌ وَاشْتَدَّتِ الرِّيَاحُ. فَخَافَ النَّاسُ وَأَصَابَهُم الذُّعْرُ وَالهَلَعُ.

قَالَ أَحَدُهُم بِخَوْفٍ شَدِيدٍ : وَاللهِ قَدْ صَدَقَ «يُونُسُ» ، إِنَّهُ العَذَابُ .

وَقَـالَ آخَرُ بِصَـوْتٍ مُتَهَـدِّجٍ : رَبِّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَـا لَقَد كُنَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

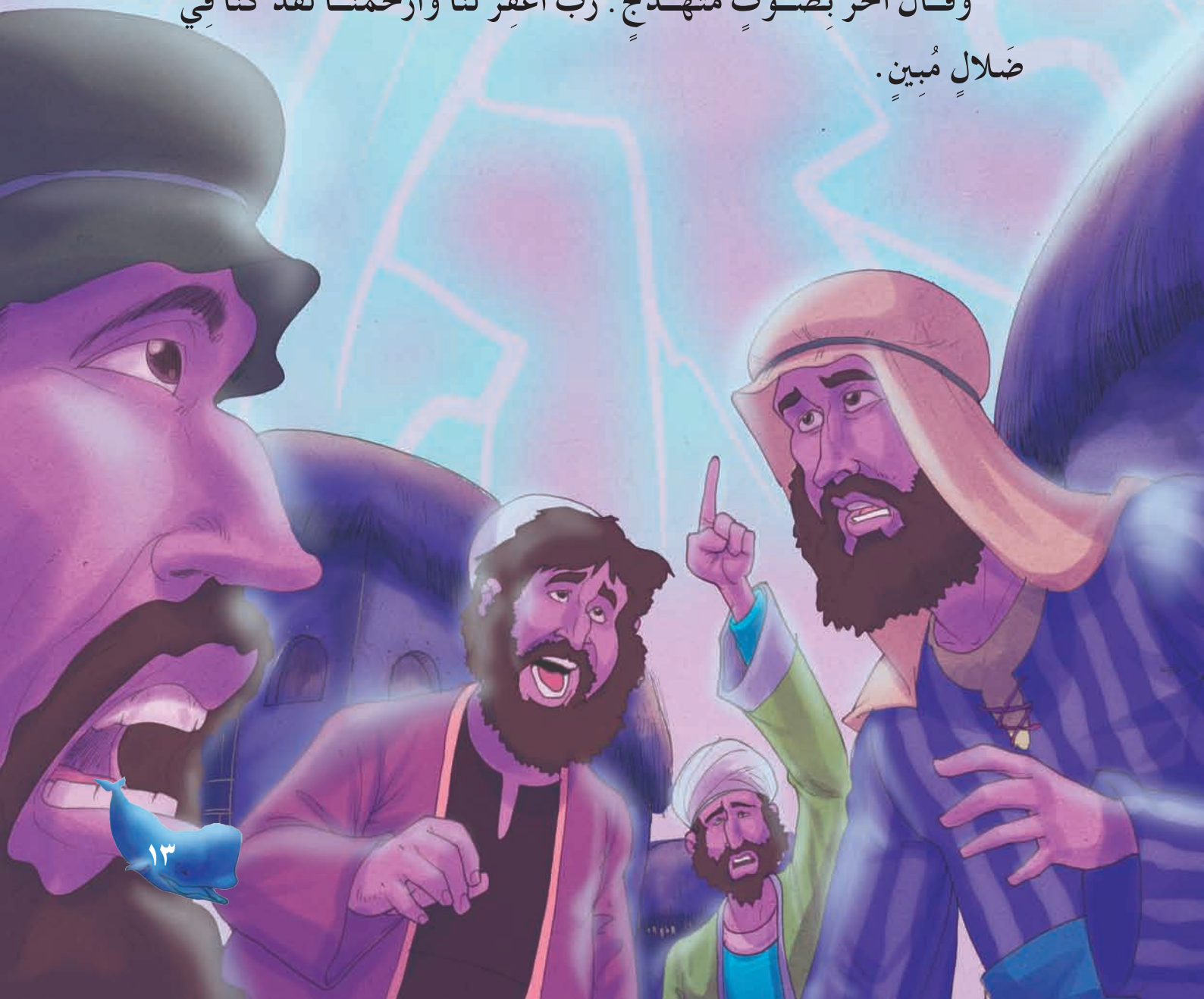

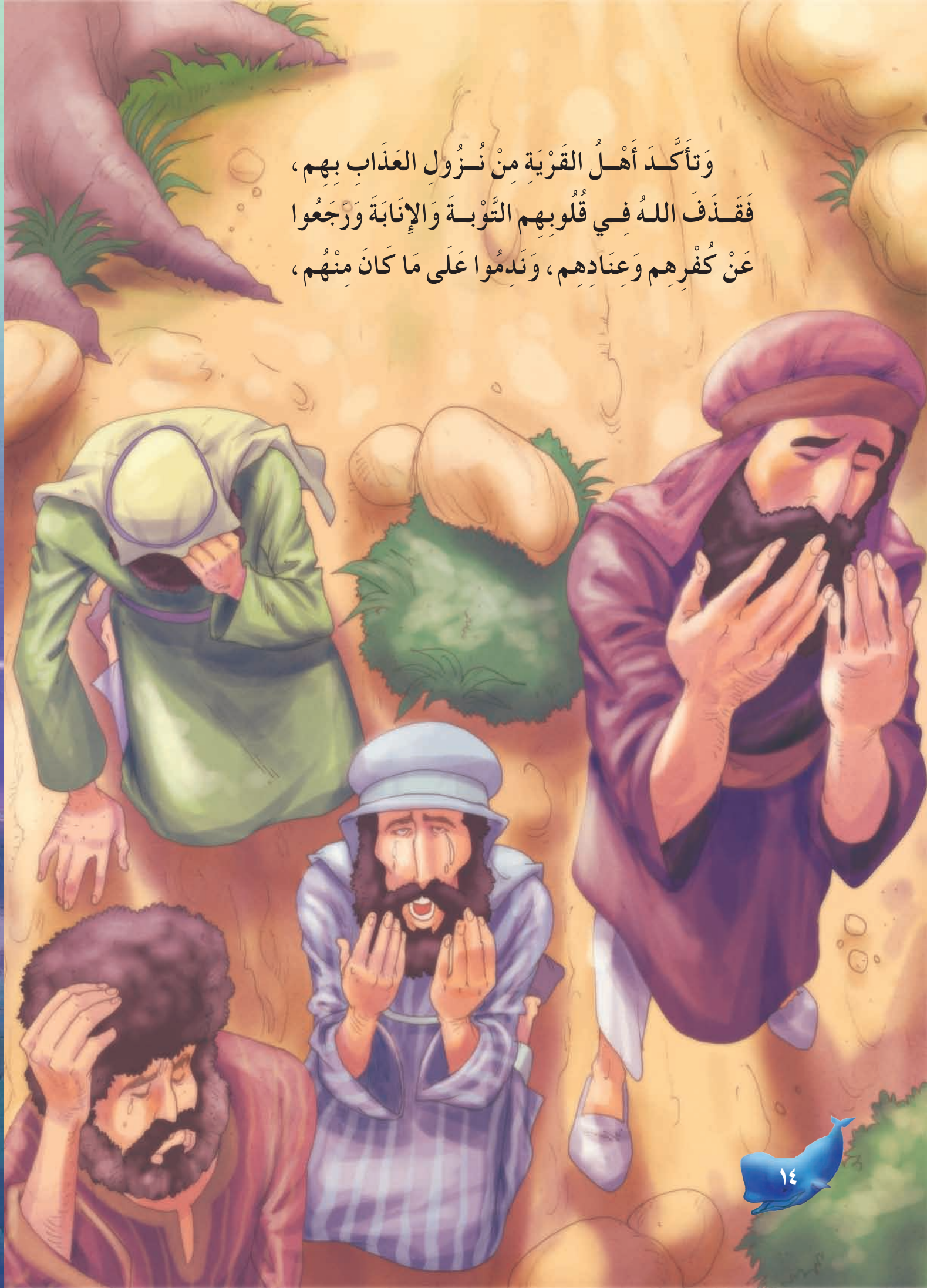

وَتأَكَّـدَ أَهْـلُ القَرْيَةِ مِنْ نُـزُولِ العَذَابِ بِهِم،
فَقَـذَفَ اللـهُ فِـي قُلُوبِهِم التَّوْبـةَ وَالإِنَابَةَ وَرَجَعُوا
عَنْ كُفْرِهِم وَعِنَادِهِم، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُم،

وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَكَى الرِّجَالُ والنِّسَاءُ وَالبَنُونَ والبَنَاتُ وَالأُمَّهَاتُ، وَاسْتَجَابَ رَبُّنَا لِدَعَوَاتِهِم وَرَفَعَ غَضَبَهُ عَلَيهِم وَأَنْزَلَ رَحْمَتَهُ عَلَيهِم حِينَ رَجَعُوا عَنْ عِبَادَتِهِم الضَّالَّةِ، وَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ يَزِيدُونَ وَلا يَنْقُصُونَ :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾

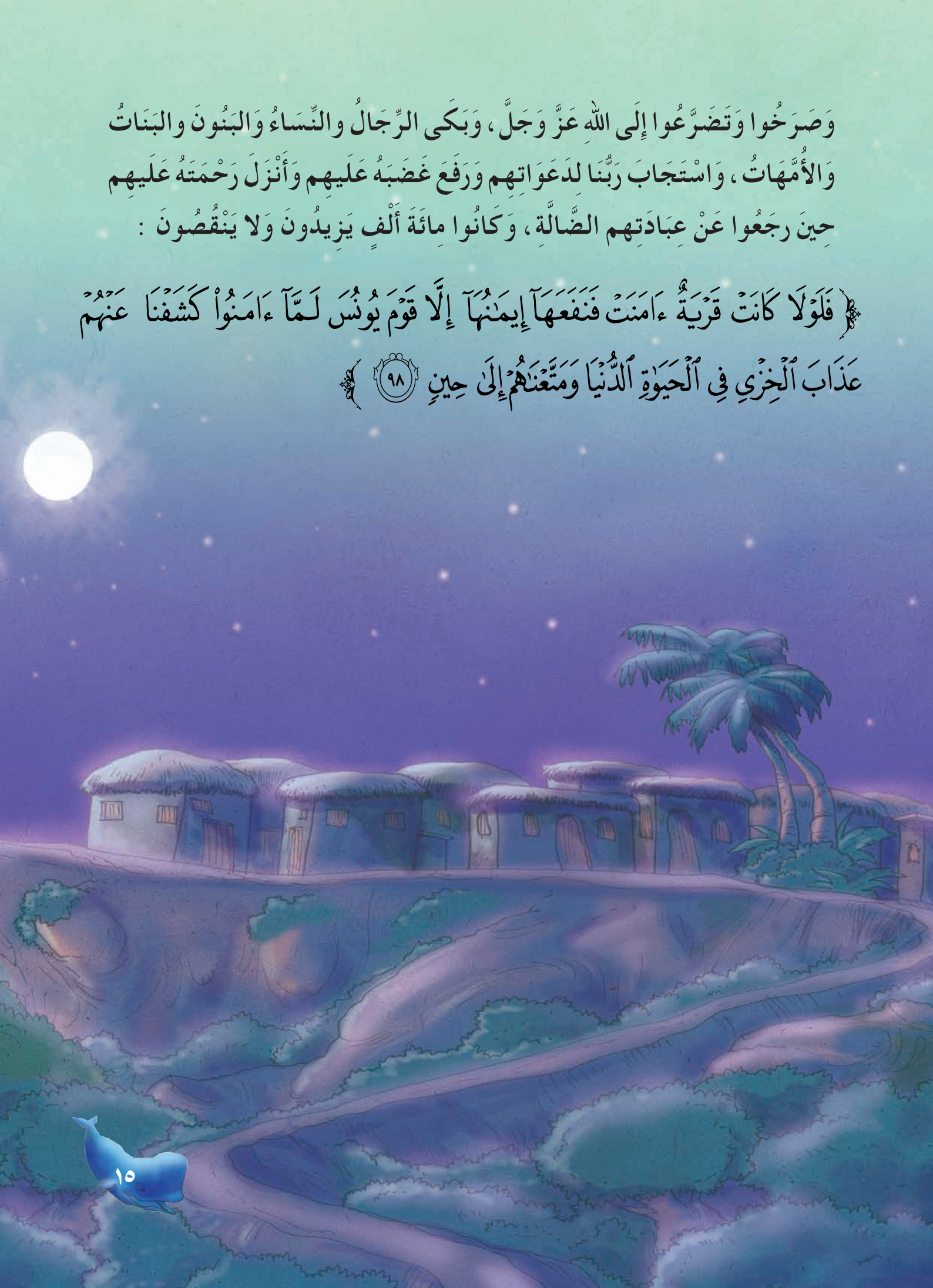

وَأَوحَى اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - إِلَى «يُونُسَ» عليه السلام أنْ عُدْ إِلَى قَومِكَ وَقَدْ آمَنُوا أَجْمَعِينَ، فَاسْتَقبَلُوه بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

وَهَكَذَا كَشَفَ اللهُ العَظِيمُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَرأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ عَنْ قَوْمِ «يُونُسَ» العَذَابَ وَنَجَّاهُمْ مِنَ العِقَابِ، كَمَا نَجَّى «يُونُسَ» عليه السلام مِنْ بَطْنِ الحُوتِ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ تعَالَى دَائِمًا وَيُكْثِرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ.

وَهَكَذَا كَانَ دَوْرُ جَدِّي فِي حَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ «يُونُسَ» عليه السلام دَورًا عَظِيمًا وَرِسَالَةً نَبِيلَةً.. وَلَهُ عَظِيمُ الشَّرَفِ أَنْ حَمَلَ فِي جَوفِهِ نَبِيًّا كَرِيمًا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ حَمَلُوا رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ لِلنَّاسِ.